

الاطار الاستراتيجي لجاجة الامة الى العلم^(١)

(١) حديث الرفيق صدام حسين في الاجتماع التأسيسي لاتحاد مجالس البحث العلمي العربي بتاريخ ٢٨ - ٥ - ١٩٧٥ .

الآن ، عند ذكر الانجليز والاستعمار الانجليزي ،
لادر كوا بطولة اولئك الناس الذين ثاروا على
الانجليز سنة ١٩٤١ . ان من يتصور الظروف
التي حدثت فيها الثورة ، تصورا دقيقا ، يدرك
ويتصور عندها ، عظمة وقوة الارادة التي
ثارت على الانجليز وحلفائهم وأعوانهم آنذاك .
عندما نتحدث عن الفرد ، ولا ننسى انه أين
المجتمع ، فعليينا ان لا ننسى ان البطولة أيضا هي
ابنة المجتمع ، في جانب اساسي منها ، اذ لو لم
يكن المجتمع آنذاك بطلًا في استعداده للتضحية ،
وفي وعيه وفي عطائه ، وفي ارادته ، لما انجب
بطلا . وعلينا ، على هذا الأساس ، ان نربط
ربطا صحيحا بين ذلك ، وبين دور الفرد
ومبادراته وتضحياته ، بهذا الاطار ، أي أن
لا نتحدث عن دور الشعب في المجتمع ، ونسقط
دور الفرد ونسحقه ، او نتحدث عن الفرد ،
ونسحق دور الشعب في المجتمع .. لأن الاتجاھين
خاطئان ، والمطلوب هو أن نتحدث عن المجتمع ،
وعن الفرد ، في عملية تفاعل تام .

في هذه المناسبة لابد أن نشير الى نقطتين :
النقطة الاولى هي أن الام ، عبر مسيرتها في البناء ،
بعضها يتطور وفق سياق طبيعي ويبدون نكسات
حادة ومريرة تواجه عملية التطور ، وبعضها
يتتطور صعودا على أثر النكسات العادة والمريرة .
وأمتنا العربية سبق لها أن وصلت الى قمم كثيرة
من التطور عبرت من خلالها عن مجدها
وأزدهارها عبر التاريخ القديم . كما أصيّبت
بنكسات مروعة بعد ذلك وبخاصة في تاريخها
الحديث ، ومن جملة النكسات التي أصيّبت بها ،
كما هو معلوم ، نكسة الخامس من حزيران سنة
١٩٦٧ . ونحن لا نريد ان نخوض في الجوانب
السلبية لحرب ٥ حزيران سنة ١٩٦٧ في هذا
اللقاء وأنما سنركز على الجانب الايجابي

من الاقطار العربية في صيغة فعالة على طريق العمل الوحدوي ، وأسمى عملكم في بناء اتحاد عربي في هذا المجال ، صيغة فعالة في العمل القومي الوحدوي ، رغم أنه قد يبدو للبعض منكم أنه عمل صغير .

لقد ظهرت في الماضي وأستمرت حتى الآن، اتجاهات متعددة في العمل الوحدوي ، في التصورات وصيغ العمل . فالبعض من العرب كان يتعلق في سماء المباديء العامة ، والدعوى العاطفية لتحقيق الاهداف الاستراتيجية بغض النظر عن مكونات الواقع ومستلزمات تعریكه الى الأمام ، والبعض الآخر كان يكتفي بالصيغ البسطة والمجزأة في العمل القومي الوحدوي مقابل التغلي عن الهدف الاستراتيجي لأقامة الوحدة العربية وطريقه الصحيح . ومن خلال النكسات، ومن خلال التجارب والزمن المضاف تمكّن العرب

٤٣

فيها .. والجانب الايجابي في النكسة هو أنها جعلت العرب ، وإلى حد ما يهتمون اهتماما خاصا بالعلم ، ويدور العلم في عملية التقدم في كافة المجالات ، ومن ضمنها المجال العسكري . ويأتي اهتمامكم في اللقاءات التي تجرونها ، في هذا المكان للتنسيق والعمل المشترك ، في البحث العلمي متأثرا بالقصور والتخلّف الكبيرين اللذين أكشتفتموهما بعد حرب ٥ حزيران سنة ١٩٦٧ ، في أهمال العرب للعلم والأهتمام به . وما يتصل بمسألة العلم حيويا وبالتفكير العلمي ، التفكير الاستراتيجي ، والاحتمالات والصفحات المتعددة في حساب ما علينا وما لنا . وفي حساب تصورات العدو من موقعه ، وردود فعله تجاهنا .

أما النقطة الثانية : فهي اهتمامكم بتكوين منظمة اتحادية قومية تعبر عن لقاء ابناء الامة

٤٢

لخدمة الاهداف الستراتيجية لبناء الامة وبناء المجتمعات الحديثة ، ويكتسب عملكم هذا أهمية ذات وزن كبير في ظل معطيات اواخر القرن العشرين ، حيث نعيش الان .

ومن المفيد ، أن تطرح نتائج ما تبحثونه ، وما سوف تتوصلون اليه ، على القادة والعلماء العرب عموماً . ولابد لنا جميعاً من أن نعترف بأن مسألة البحث العلمي والاهتمام به ، هي مسألة جديدة بالنسبة لنا . ولقد قلت قبل قليل: بأن الاهتمام بهذه المسألة لم يكن منذ وقت بعيد، وحددت مرحلة الاهتمام المركز بها من قبل كل أو بعض العرب ، بالفترة التي أعقبت الهزيمة في الخامس من حزيران . ولابد أن نسلم بحقيقة أن كل فكرة تعبّر عن حاجة ، وال الحاجة توضع أحياناً في إطار القياس الآني ، وتوضع أحياناً في إطار البعد الستراتيجي . وحاجة الامة

في أواسط مؤثرة و مهمة ، سواء في الأوساط العلمية أو الأوساط السياسية وأوساط الجماهير ، أن يدركونا حقيقة جديدة مهمة في طريق عملهم الوحدوي ، وهي أن يعملاً بالمتيسر دون أن يسقطوا الطموح من الحساب . أن يعملاً بالمتيسر لتطویر صيغه وأمکاناته بالاتجاه الى الهدف الكبير الأبعد وصيغة الطموح . فالعمل الوحدوي يجب أن لا يؤخذ بطريق واحد ، وأن يعمل عليه من خلال روافد متعددة عن طريق : الاقتصاد . . . والفن . . . والسياسة . . . والعمل الفني . . . وفي الجانب العلمي والبحث العلمي كما تبحثون في هذا المكان . . . الخ . فأنتم في الواقع تقومون بعملين كبيرين : عمل قومي وحدوي ، وعمل علمي على طريق الوحدة . ومؤسسات البحث العلمي هي مختبرات ومطابخ مهمة لتحضير المعلومات والافكار الحيوية

العربية الى العلم لا بد أن توضع بالاطار الاستراتيجي . حاجة الامة العربية الى الاهتمام بالعلم مساوية لحاجتها لأن تعيش ، اذ لم يعد بالامكان لأية امة أن تعيش كامة محترمة ، وأن يكون لها دور في المجتمع الانساني العالمي لبناء الحضارة أو الحضارات الإنسانية من دون أن تحترم العلم . ويكون لها باع محدد في تطور أكتشافاته وأستخداماته .

بمقدار ما يتتطور اهتمامنا ، ويقع في موقع الصواب بأتجاه أن نكون أمة محترمة وذات رسالة محددة في المشاركة في بناء المجتمع الانساني ، يجب أن يزداد ويتطور اهتمامنا بالعلم وأستخداماته الصحيحة .

وبقدر ما تختل تصوراتنا في بناء أمتنا بناء صحيحاً وطموحاً على الطريق الذي أشرنا اليه تختل اهتماماتنا بالعلم . والعكس صحيح في

حساب ذراعي الموازنة « الاهتمام ببناء الأمة يساوي الاهتمام بالعلم »
أن في الأفق حتى الآن من الاهتمام بالعلم ما يشجع ، ولكننا لم نبلغ بعد الاهتمام اللازم لهذا الاتجاه ، وأن الاهتمام بالعلم وبالاتجاه الصحيح يضعنا على طريق التقدم في بناء المجتمع الذي نطمح اليه . . . أن الاهتمام بالتنمية في اطارها الجدي وفي اتجاهها الصحيح يقود الى الاهتمام بالعلم . والاهتمام بالتنمية يجب أن لا يجري على أساس حسابات العاجة المرحلية أو الآنية ولا بد أن يحتل موقعه الاستراتيجي في التصور وفي صيغ العمل لكي توضع نتائج مسيرة التنمية في سياق التطور المطلوب لبناء الأمة العربية الموحدة .

أن الذي حدث في العراق من تطور إلى أمام في ميدان البحث العلمي وفي الميادين الأخرى لا يزال أقل مما نطمح اليه جميماً ، ولا بد

بنوع من الراحة ، اذ يجد على الاقل جسورة مشتركة من العلاقة والتفاهم بينه وبين الوسط الجديد من خلال انتماهم معا الى العلم، واحترامهم بقدر متساو لأهمية العلم في بناء المجتمع وعملهم معا بجدية و بدقة لتوفير مستلزماته . . . هذا هو السبب العاسم الذي جعل كثيرا من المواطنين العرب يغادرون الوطن العربي . ولا بد أن نشير الى حقيقة مهمة ، وهي ان العرب اذا ما تمكنا من أن يوفروا قدرأ أساسيا من مستلزمات توفير الاجواء الازمة للكفاءات والعلماء العرب الذين غادروا الوطن العربي ، فان قسمأ مهما منهم سيعود الى الوطن وستنتهي او تقل ظاهرة هجرة العلماء والكافاءات العلمية الى خارج الوطن . وسيكون العرب محظوظين بعودة أبنائهم الى الوطن بعد أن يكون البعض منهم قد أطلع وتعلم في مفاصل حيوية لحركة بناء الأمم

أن أؤكد حقيقة تفضل بها أحد الاخوان ، وهي: أن العالم العربي والكفاءة العربية الذي يغادر الوطن لا يفعل ذلك طلبا للحصول على المكافآت المالية الأفضل بالدرجة الاولى، وأنما يهرب ويغترب طلبا للعمل في الجو العلمي الذي يناسبه والذي يمكنه من تطبيق العلم الذي تعلمه ويسيف اليه، لأن العالم كالفنان بحاجة الى جو خاص لكي ينتاج ويبدع . . . وتحتل الجانب النفسي دورا حاسما في تقرير النتيجة العلمية التي يصنعها العالم . عندما يعيش العالم في مجتمعات تشكو من حالة عدم الاستقرار السياسي . . . وعندما يعيش في جو لا يحترم العلم على مستوى السياسات العامة ومصادر تقريرها وعلى مستوى الكثرين من يعملون معه أو بمعيته، فإنه لا بد أن يحس بالغربة ، فيغادر الى مكان آخر يحس من خلاله ، رغم انه غريب عنه في انتمامه الوطني والقومي